

مصر البطلمية أ.د. / السيد رشدي

الاسكندر الأكبر

بعد أن تربع الاسكندر الأكبر علي عرش مدونيبيا عام 336 قبل الميلاد ، شرع في عام 334 قبل الميلاد في حرب الفرس ، حيث عبر البحر إلي آسيا الصغرى ، حيث حارب الفرس في أسوس (طرسوس الحالية) بقيادة داريوس الثالث ، وبعد أن حقق الاسكندر نصراً كبيراً ، اتجه صوب الجنوب لفتح مصر التي كانت تحت الحكم الفارسي .

فتح مصر

تقدم الاسكندر نحو مدينة غزة عام 332 قبل الميلاد التي سلمت له بعد حصار لمدة شهرين ومنها اتجه صوب مدينة "بيلوزيوم" (تل الفرما الحالية شرقي بورسعيد) وهي البوابة الشرقية لمصر ، وهناك سارع الوالي الفارسي بالاستسلام للفتح المقدوني كما رحب به المصريون ترحيباً حاراً ، حيث قيل آنذاك أن الاسكندر الأكبر هو ابن الإله المصري آمون ، كما أنه من نسل الفراعنة أتى ليحرر مصر من الاحتلال .

الإسكندر الأكبر في مصر

وصل الإسكندر إلي مدينة منف وحرص علي إظهار احترامه للديانة المصرية ثم اتجه إلي الفرع الكانوبي من نهر النيل حتى وصل إلي مدينة كانوب (أبو قير الحالية) ، وأثناء سيره هناك انتبه إلي قرية طغيرة يسكنها الصيادون المصريون ، تدعى (راقودة) وتقع قبالتها في البحر جزيرة صغيرة تسمى (فاروس) ، فقرر إقامة مدينة في هذا الموقع تخلد اسمه ، وهي مدينة الاسكندرية ، وعهد إلي مهندس يدعى (دينوكراتيس) بأن يقوم بتخطيط المدينة ، وأقام جسر يربط بين القرية والجزيرة .

وبعد أن قام الإسكندر بوضع حجر الأساس لمدينته الجديدة ، واصل سيره في اتجاه الغرب حتى بلغ حتى مدينة مرسى مطروح الحالية ومنها اتجه جنوباً إلي سيوة حيث يوجد معبد الإله آمون ، وهو معبد نال شهرة عالمية آنذاك باعتباره معبد الوحي في العالم ، وتحدث المؤرخين كثيراً عن هذه الزيارة ، حيث تحدثوا عن أن الإسكندر الأكبر أصبح ابن آمون داخل المعبد ، كما أنه استطاع الوحي داخل المعبد ، ولكن لم يعلم أحد تفاصيل هذه الزيارة .

وبعد أن فرغ الاسكندر من زيارة سيوة ، عاد إلي وادي النيل ، وحرص علي أن يعلن للجميع عن دخول الحضارة اليونانية إلي مصر ، لكي تكون توأماً للحضارة المصرية ، ولكنه حرص علي الأبقاء علي النظم الادارية المصرية ، أما الادارة المالية فقد عهد بها إلي اليونانيين ، ثم غادر مصر عام 331 قبل الميلاد متجهاً إلي الشرق لحرب الفرس حيث انتصر عليهم في العراق وإيران حتى استولى علي كل أملاكهم ، حتى مات عام 323 قبل الميلاد ، تاركاً وراءه مملكة كبيرة مترامية الأطراف .

دولة البطالمة

مؤتمر بابل

بعد أن مات الاسكندر فجأة عام 323 قبل الميلاد ، ولم يكن له وريث للعرش ، اجتمع قادة جيشه في بابل وقرروا أن يحكم كل ولاية من الولايات التي فتحها الاسكندر قائداً من قاداته ، وكانت مصر من نصيب بطلميوس بن لاجوس ، الذي أعلن نفسه ملكاً علي مصر عام 305 قبل الميلاد ، وتدخل مصر منذ ذلك التاريخ في ظل حكم المملكة البطلمية . ويمكن أن نتحدث عن دولة البطالمة من خلال هذه المحاور :

أ - الحياة السياسية

حكم البطالمة مصر من خلال الحكم الملكي القائم علي حق الملك في تملك كل شئ في مصر بما فيها الأرض وما عليها وما في باطنها ، وله كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية والدينية ، ويساعده حاشية القصر الملكي ، بما فيهم الوزير والقاضي ومنفذ القوانين ، وكلهم يعملون من خلال الملك وأوامره ، وفيما يلي ملوك البطالمة :

بطلميوس الأول (284-323) قبل الميلاد

ينتمي إلي إحدى العائلات المقدونية النبيلة ، وكان أكبر من الاسكندر ببضعة أعوام ، لازم الاسكندر في حروبه ، دخل في حروب عدة من أجل توطيد حكمه في مصر ، فضم إقليم قوريناية (شرقي ليبيا) وجوف سوريا (فلسطين ولبنان وجزء من الاردن) ، ووضع أسس النظم الادارية والمالية في مصر .

بطلميوس الثاني (246-284) قبل الميلاد

هو ابن بطلميوس الأول ، تولى العرش بعد وفاة أبيه ، وكان في الخامسة والعشرين ، أحدث نهضة كبيرة في شتى المجالات الاقتصادية ، حتى أصبحت مصر امبراطورية كبيرة في عهده ، حيث سيطر علي خطوط التجارة في شرق البحر المتوسط وعلي الجزر التي تقع بداخله ، وضم إقليم قوريناية (برقة - شرقي ليبيا) من جهة الغرب ، ووصل جنوباً قرابة مدينة الخرطوم الحالية .

بطلميوس الثالث (221-246) قبل الميلاد

خلف والده ، وكان يتمتع بصفات حميده ، حتى لقب بالخير أو الصالح ، لأنه أمر باسقاط الضرائب المفروضة علي الأهالي ، بسبب مجاعة مرت بها البلاد ، وكان محباً للعلم والثقافة وشجع العلماء في شتى انحاء العالم علي القدوم إلي مصر والاقامة بها ، وظل محافظاً علي أملاك البطالمة الخارجية .

بطلميوس الرابع (205-221) قبل الميلاد

يعتبر عهد بطلميوس الرابع بداية لمرحلة من التدهور لحكم البطالمة ، تولى العرش في الثانية والعشرين من عمره ، وكان مستهتراً أغرق نفسه في حياة اللهو والمجون . ووقع تحت تأثير مجموعة فاسدة من رجال البلاط ، أمثال أجاتوكليس وسوسيبيوس . وأشهر ما حدث في عصره كانت موقعة رفح التي وقعت عام 217 قبل الميلاد ، التي وقعت عند مدينة رفح بين البطالمة والسلوقيين (حكام سوريا) ، حيث كاد ينتصر السلوقيين في المعركة لولا تدخل المشاة المصريين في المعركة ، الذين لم يكن في حسابان القادة أن يصبح لهم أي دور ، ولكن المصريين هم من غيروا مصير المعركة لصالح البطالمة . ومنذ ذلك التاريخ دخل البطالمة في مرحلة الضعف السياسي في الخارج والداخل

بطلميوس الخامس (180-203) قبل الميلاد

توفى بطلميوس الرابع عام 203 وترك طفلاً لم يتجاوز عمره السابعة ، توصى عليه سوسيبيوس ثم أجاتوكليس ، الذي أدار البلاد من أجل مصلحته الشخصية ، ولجأ في سبيل ذلك إلي طلب تدخل القوى الخارجية في شئون البلاد من أجل حمايتها ، فانهارت البلاد سياسياً واقتصادياً ، وفقدت معظم أملاكها الخارجية .

بطلميوس السادس (145-180) قبل الميلاد

تولى العرش وهو طفل صغير تحت وصاية أمه ، كليوباترة الأولى ولكن بعد موتها ، تولى الوصاية اثنين من عبيد القصر المعتقين ، وهما يولايوس ولينايوس ، اللذان عملا على جمع أكبر

قدر من الأموال لنفسيهما ، وزاد التدخل الروماني في الشؤون الداخلية لمصر ، حيث لم يكن بمقدور الملك اتخاذ أي إجراء دون استشارة روما .

بطلميوس الثامن (116-144) قبل الميلاد

عندما علم بطلميوس ملك قورينائية بوفاة أخيه بطلميوس السادس ، زحف إلي الإسكندرية لكي يستولي علي العرش ، ويعزل كليوباترة الثانية وابنها بطلميوس السابع ، وكادت البلاد أن تشهد حرباً أهلية لولا تدخل الرومان الذين بادروا بالتدخل من أجل مساعدة صديقهم بطلميوس الثامن ، وقضوا بأحقية في العرش علي أن يتزوج من كليوباترة الثانية .

بطلميوس التاسع و بطلميوس العاشر

بعد وفاة بطلميوس الثامن ، تولى العرش بطلميوس التاسع ، وكان قد سبق له الزواج من كليوباترة الرابعة ، إلي أنه طلقها وتزوج من كليوباترة الخامسة ، مما أثار أهل الاسكندرية فاضطر إلي الفرار من مصر وخلفه علي العرش بطلميوس العاشر بالاشتراك مع والدته ، ولكنها ماتت عام 101 قبل الميلاد ، ولكن سرعان ما ثار عليه الشعب عام 88 قبل الميلاد فاضطر إلي الفرار إلي قبرص .

بطلميوس الحادي عشر

كان ابن بطلميوس العاشر من إحدى عشيقاته ، وعاش في روما حتى استدعاه الرومان ليجلسوه علي العرش ليصبح عميلاً لهم ، وتزوج من الملكة برنيكي الثالثة ، ولكن سرعان ما قتلها وكانت هذه الملكة تتمتع بحب شعب الاسكندرية ، مما دفع الجماهير الغاضبة إلي الفتك بالملك عام 80 قبل الميلاد .

بطلميوس الثاني عشر (51-80) قبل الميلاد

تولى بطلميوس الثاني عشر العرش ، أطلق عليه أهل الاسكندرية لقب الزمار ، لأنه يهوى العزف علي المزمار ، تزوج من كليوباترة السادسة ، إلا أن الرومان رفضوا الاعتراف به ، مما دفع بطلميوس إلي السعي علي اعتراف الرومان به بأي ثمن ، فذهب إلي روما وأنفق ثروات مصر في سبيل ذلك ، إلي أن تم الاعتراف به عام 60 ، ولكن أهل الاسكندرية ثاروا عليه وطرده بسبب ضعفه ، مما دفعه إلي الذهاب إلي روما يطلب منها مساعدته ، والتي أجلسته بالقوة علي العرش عام 58 قبل الميلاد حتى مات .

بطلميوس الثالث عشر

تولى الحكم بعد وفاة أبيه ، وشاركته علي العرش أخته كليوباترة السابعة ، ولكن سرعان ما انقلب عليها ففرت إلي سوريا ، وكانت روما تعيش في ذلك الوقت حرب أهلية بين يوليوس قيصر وبومبيوس ، حيث فر بومبيوس إلي مصر فقتله بطلميوس إرضاءً ليوليوس قيصر ، الذي غضب وحاصر الاسكندرية وحاربها حيث قتل بطلميوس في هذه الحرب .

كليوباترة السابعة

آخر الملوك البطالمة ، تولت العرش مع أخيها بطلميوس الرابع عشر ، ولكن سرعان ما تخلصت منه لتجلس ابنها من يوليوس معها علي العرش ، وكان اسمه قيصر ولكن أهل الاسكندرية لقبوه (قيصرون) نظراً لصغر سنه ليكون ملك لمصر .

ذهبت كليوباترة مع يوليوس قيصر إلي روما حيث كانت تخطط لتصبح ملكة علي روما ، ولكن قتل قيصر عام 44 قبل الميلاد ، فعادت إلي مصر ، وتحالفت مع أنطونيوس الذي خلف قيصر وحرصته علي الانفراد بالجزء الشرقي من الأملاك الرومانية ، مما جعله يتزوجها ويدخل في حرب أهلية مع اوكتافيوس ، أدت إلي انتحاره بعد هزيمته في معركة أكتيوم البحرية عام 31 قبل الميلاد ، وعندما علمت كليوباترة أن الحكم البطلمي قد انتهى قررت الانتحار عام 30 قبل

الميلاد لتسقط مصر تحت الحكم الروماني في العام نفسه ، وتحول إلي ولاية رومانية وينتهي الحكم البطلمي .

ب- الحياة الدينية

تمثل العقيدة الدينية جانباً مهماً في حياة الناس ، وتنعكس بشكل واضح علي مظاهر الحياة اليومية ويمكن القول بأن المصريين اشتهروا منذ القدم بتمسكهم بعقائدهم . وقد أدرك البطالمة هذه الحقيقة ، علي الرغم من أصلهم اليوناني ، وقد اتسمت سياستهم الدينية بشكل عام بالتسامح الديني ، وأولوا الديانة المصرية اهتماماً كبيراً ، فساروا علي نهج الإسكندر الأكبر الذي كان حريصاً علي التأكيد علي انتسابه للإله آمون ، حيث كانوا يتوجون في منف ويحملون الألقاب الدينية ، وذهبوا إلي مدى أبعد بالتشبه بالفراغة

وقد حرص البطالمة علي إظهار احترامهم للديانة المصرية ، وكان الإسكندر الأكبر قد بادر بتقديم القرابين الآلهة المصرية فور دخوله مصر ، وحذا بطلميوس الأول حذوه ، فقدم القرابين الآلهة المصرية ، وقام بإعادة تماثيل الآلهة المصرية ، التي كان الفرس قد استولوا عليها أثناء احتلالهم مصر ، واهتم البطالمة جميعاً بإنشاء المعابد المصرية ، التي ما يزال البعض منها شامخاً حتى يومنا هذا ، مثل معبد اللإله حورس في أدفو (انظر الشكل رقم) ومعبد حورس وسوبك في كوم أمبو ، ومعبد ازييس في فيلة (انظر الشكل رقم) ، وهي معابد تقع جميعها في صعيد مصر ، والملاحظ علي هذه المعابد أنها بنيت علي الطراز المصري ، وصور البطالمة أنفسهم بملابس الملوك الفراغة .

وقد تمتع الكهنة المصريون بمكانة رفيعة في البلاد ، وعلي الرغم من حرص البطالمة منذ البداية علي اظهار احترامهم لهؤلاء الكهنة ، إلا أنهم كانوا يخشون من زيادة نفوذهم ، ولذلك حرصوا علي أن ينحصر دور رجال الدين في ممارسة الشعائر ، وأن يكونوا تحت رقابة رجال الملك ، ومن ناحيتهم ، حرص الكهنة علي إظهار ولائهم للملوك ، ومن أشهر تلك المراسيم ، قرار كانوب الذي أصدره الكهنة في عهد بطلميوس الثالث في عام 237 قبل الميلاد ، وكذلك القرار الذي حفظه لنا حجر رشيد والذي أصدره الكهنة في عهد الملك بطلميوس الخامس عام 197 قبل الميلاد (انظر الشكل رقم)

أما عن موقف البطالمة من الديانة اليونانية ، فقد اتسم أيضاً بروح التسامح ، وكان اليونانيين الذين وفدوا إلي مصر ، حريصين أشد الحرص علي الحفاظ علي مظاهر قوميتهم ، فأحضروا معهم عباداتهم وحرصوا علي ممارسة شعائر العبادة كما ألفوها في بلادهم الأصلية ، ولما كان البطالمة بدورهم يعتزون بأصلهم اليوناني ، فقد شجعوا علي ذلك .

وقد تأثر إغريق مصر بالعبادات المصرية ، وأخذوا يشبهون الآلهة المصرية بآلهتهم ، فربطوا بين الإله آمون والإله زيوس كبير الآلهة في الديانة اليونانية ، كما ربطوا ما بين حورس والإله ابوللو ، والربة حتحور المصرية بالربة أفروديت ربة الجمال في ديانتهم ، إلا أن اليونانيين بشكل عام كانوا ينفرون من عبادة الحيوانات التي كان المصريون يمارسونها

وأمام التنوع الكبير في العبادات التي كانت في مصر ، حاول البطالمة ايجاد إله موحد يجمع المصريين واليونانيين ، فاستحدثوا إله جديد يطلق عليه سيرابيس ، وهو ثالث يتألف من سيرابيس وايزيس وحربوكراتيس ، وليس هناك شك في أن ايزيس وحربوكراتيس كانا إلهين مصريين ، أما سيرابيس فهو حيث اختصاصاته الإله المصري اوزوريس ، ولكن تمثال سيرابيس الذي قدم للناس كان يتخذ هيئة يونانية (انظر الشكل رقم) .

والحقيقة أن سيرابيس قدم لليونانيين في صورة إله يوناني ، أما المصريون فقد نظروا إليه باعتباره الههم القديم اوزوريس أبيس ، واهتمت الدولة بالديانة الجديدة ، وتم انشاء معابد لهذا الاله ،

عرفت باسم السيرايبون ، ولعل أشهرها الذي أقيم في الاسكندرية ، وانتشرت هذه الديانة في مناطق كثيرة في العالم . ولكن علي الرغم من هذا الانتشار فإنها فشلت في تحقيق الهدف المنشود من وراء إقامتها ، وهو التقريب بين المصريين واليونانيين ، حيث ظل كل طرف يتعامل مع الديانة الجديدة باعتبارها امتداد للديانة القديمة .

ج - الحياة الاقتصادية

قامت النظم الاقتصادية والمالية في مصر علي أهداف وضعها البطالمة لتكوين دولة قوية قادرة علي أن تلعب دوراً مؤثراً في سياسات العالم ، وهذا يتطلب إقامة اقتصاد قوي ، وكان الاساس الذي استندت إليه هذه النظم هو اعتبار مصر ضيعة كبيرة خاصة بالملك ، وقد انطلق هذا المفهوم من اعتبار البطالمة أنفسهم فراعنة مصريين مؤهلين ، وبالحق الالهي فهم يملكون البشر والأرض ، فطبّقوا نظام الاحتكار ، حيث كانت الدولة تسيطر علي كل مناحي الحياة الاقتصادية ، وليس للاهالي حرية التصرف في منتجاتهم ، وبخاصة الزراعية حيث كانت الدولة هي التي تشتري المحاصيل بعض خصم الضرائب ، ويضاف إليها الصناعة والتجارة .

1 - الزراعة

اهتم البطالمة بالزراعة باعتبارها الركيزة الأولى للاقتصاد المصري ، فوجهوا اهتماماً كبيراً إلي النهوض بالزراعة ، وفي سبيل ذلك قاموا بالآتي :

- اصلاح نظام الري وشق القنوات وإقامة الجسور ، وشهد إقليم الفيوم علي وجه الخصوص نشاطاً ، كبيراً في تحسين شبكة الري والصرف .
- استصلاح مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية وبخاصة تلك التي تقع بالقرب من بحيرة قارون .

- استحدثت البطالمة استخدام وسائل الري الحديثة

- اتبعوا نظام الدورة الزراعية في تقسيم الأراضي حسب نوع المحاصيل

- استقدموا أنواع جديدة من المحاصيل للأقلمتها في مصر وبخاصة العنب

وقسمت الأراضي الزراعية في مصر إلي خمسة أنواع :

أرض الملك : هي الأرض التي كان يمتلكها الملوك الفراعنة ، ثم آلت إلي الملوك البطالمة باعتبارهم الورثة للفراعنة ، قام علي إدارتها مجموعة من موظفي الدولة ، يشرفون علي زراعتها ويؤجرونها لمزارعين مقابل إيجار ، وأحياناً أخرى يبيعونها لملتزمين .

الأرض المقدسة : هي الأرض التي كان الملوك يمنحونها للمعابد ، وهو تقليد درج عليه ملوك مصر منذ العصور القديمة ، والأرض المقدسة نوعان ، الأول مخصص للكهنة لكي يقوموا بزراعتها ، والثاني مخصص للمعابد تشرف علي زراعتها

أرض الاقطاعات العسكرية : اعتمد البطالمة في تكوين جيوشهم علي الجنود المرتزقة من الإغريق ، وقاموا بمنحهم مساحات من الأرض تكون بمثابة راتب لهم ، حيث حققت هدفين مهمين الأول : تشجيع الجنود علي البقاء في مصر ، والثاني : استغلال جهودهم في زراعة مساحات جديدة من الأرض

أرض الهبات : هي الأرض التي كان البطالمة يمنحونها لكبار موظفيهم ، وهي منحة شخصية يجوز للملك أن يستردها في حالة ترك صاحبها للمنصب الذي يشغله

أرض الامتلاك الخاصة : الأرض التي منحت لبعض الأهالي ، حيث أباح الملك لبعض الأهالي حرية امتلاك الأراضي ، وبخاصة الارض البور التي كانت تحتاج للاستصلاح .

أرض المدن : وهي الأرض التي كانت الدولة تخصصها للمدن التي كانت تتمتع بوضع المدينة اليونانية ومنها الاسكندرية وبطلمية التي أقامها بطلميوس الأول في صعيد مصر ، وكان مواطنو هذه المدن يتمتعون بحق تملك هذه الأراضي .

المحاصيل الزراعية :

- وكانت هذه الأراضي تزرع بمحاصيل زراعية انتاجية مهمة ، ومنها :
 - القمح ، الذي كان يزرع علي نطاق واسع داخل القرى المصرية ، وكانت الحكومة تحتكر هذه الزراعة ، حيث كانت هي التي تمد المزارعين بالبذور في سبيل الحصول علي جزء من المحصول في مقابل ذلك ، وكان يحذر علي المزارعين بيع المحصول إلا عن طريق الدولة .
 - الشعير : وهو الذي يلي القمح من حيث الأهمية ، وكان المصويون يستخدمونه في طعامهم .
 - العنب : استورد البطالمة أنواع جديدة من العنب وأقلموها في مصر ، حيث قيل أنه كان يزرع في مصر أكثر من عشرين نوع من العنب ، وكان الهدف من زراعة هذه الأصناف هي صناعة النبيذ التي كان يعتمد عليه اليونانيين في حياتهم اليومية .
- وذلك إلي جانب أنواع عدة من المزروعات الأخرى ، مثل شجر النخيل والزيتون والفلو والعدس وغيرهم .

2- الصناعة :

- كانت مصر منذ أقدم العصور موطناً للعديد من الصناعات المهمة ، وقد احتكر البطالمة الصناعة أيضاً ، حيث كانت تشرف علي كل حرفة ، ولا يستطيع أرباب الحرف التصرف في منتجاتهم إلا عن طريق الدولة ، وذلك من خلال موظفيها المنتشرين في المدن والقرى ، وأضافوا إليه نظام الالتزام ، وهو بيع حق احتكار حرفة معينة مقابل مبلغ من المال يدفع سنوياً ، والحكومة بذلك تجني أرباحها من هذه الحرف وتضمن جباية ضرائبها من الملتزم ، ومن أهم الصناعات التي كانت في مصر آنذاك :
- صناعة الزيوت ، حيث كان يستخرج الزيوت من الزيتون والسمن والخروع والقرطم وقد منحت الدولة لبعض المواطنين حق انتاج الزيت وذلك من خلال نظام الالتزام الذي استحدثته في تلك الفترة ، حيث كانت يباع حق انتاج الزيت في مزاد علني يعقد كل عام في عاصمة مديرية
 - صناعة المنسوجات ، اشتهرت في مصر بصناعة المنسوجات ، وعلي رأسها نسيج الكتان ، وقد احتكرت الدولة صناعة نسيج الكتان احكاراً كلياً ، ومارست رقابة صارمة علي كافة مراحل انتاج هذا النسيج ، أما الصناعات الصوفية فكانت تتمتع بقدر أكبر من الحرية ، فلم تحتكرها الدولة احكاراً كاملاً .
 - صناعة الورق من نبات البردي ، كان نبات البردي من أهم المزروعات التي اعتمد عليه البطالمة في صناعة الورق ، حيث كانت أوراق البردي المصري من أشهر المصنوعات الورقية في العالم القديم .
 - صناعة الفخار ، من الصناعات المهمة التي شجعتها البطالمة ، حيث دخل الفخار في صناعة معظم الأدوات المنزلية الداخلية ، كما انتشرت ورش صناعة الفخار في معظم قرى الريف المصري .
- وذلك إلي جانب العديد من الصناعات اليدوية الأخرى التي انتشرت في ربوع مصر ومنها صناعة الزجاج والخمر والجعة والطور والحلي .

3 - التجارة

طبق البطالمة في مجال التجارة المعايير ذاتها التي طبقوها في مجال الزراعة والصناعة والتي تقوم علي تدخل الدولة في كافة أوجه النشاط الاقتصادي ، ففي مجال التجارة الداخلية احكمت الدولة رقابتها علي الأسواق وتدخلت في تحديد الأسعار ، وبخاصة تلك التي كانت تخضع لسياسة

الاحتكار ، إلا أنها سمحت في أحيان قليلة بالتداول الحر لبعض السلع . حيث كان سعرها يتحدد حسب حالة السوق ، وهناك بعض السلع ذات الأهمية القصوى التي حرصت الدولة علي متابعة حركتها في السوق بدقة ، مثل القمح ، فقد كان الملك أكبر تجار الغلال في العالم كما انتعشت تجارة مصر الخارجية ، وأصبحت الاسكندرية من أهم المراكز التجارية في العالم ، ولم تكن الاسكندرية هي المنفذ التجارية الوحيد ، بل وجدت أيضاً العديد من الموانئ علي البحر الأحمر ، بالإضافة إلي المنافذ البرية علي طول حدود مصر ، وكانت الدولة تسمح للتجار باستيراد ما تحتاج إلي مصر من الخارج في مقابل دفع جمارك محددة ، كما قامت مصر بدور الوسيط التجاري بين الغرب والشرق ، فكانت تقوم باستيراد منتجات أفريقيا وآسيا ثم تصديرها إلي أوروبا .

د : الحياة الاجتماعية

كان الهدف الذي يرمي إليه بطلميوس الأول ، هو اقامة دولة تستند علي أسس شرقية مع أطفال الصبغة اليونانية عليها ، فحرصوا علي الظهور أمام رعاياهم من المصريين في مظهر الحكام الوطنيين ، وفي الوقت نفسه فتحو أبواب البلاد علي مصرعها أمام الأجانب ، وعلي وجه الخصوص اليونانيين ، وتنقسم طبقات المجتمع إلي الإغريق والمصريين .

1 - اليونانيون

شجع البطالمة اليونانيين علي الاستقرار في مصر ، واختصوهم بالوظائف العليا وأغدقوا عليهم الهبات السخية ، وحرصوا علي تهيئة المناخ الملائم لحياتهم في مصر ، وأقاموا لهم المدن التي تتناسب مع طبيعة معيشتهم ، فقاموا بتطوير مدينة الاسكندرية لكي تحافظ علي طابع المدن اليونانية ، وأنشأ بطلميوس الأول مدينة بطلمية في صعيد مصر ، ويبدو أن اختيار هذا الموقع لتكون منافسة لمدينة طيبة ، كما استمرت مدينة نقرطيس التي اقامها اليونانيين في العصر الصاوي.

ولم يقتصر وجود اليونانيين في مصر علي المدن اليونانية ، بل انطلقوا في كافة أرجاء مصر ، وأقيمت من أجلهم قرى جديدة في إقليم الفيوم ، كما سكنوا المدن والقرى القديمة جنباً إلي جنب مع المصريين .

2 - المصريون

نظراً للمكانة التي يتمتع بها اليونانيين ، فإنهم كانوا يعاملون المصريين معاملة تتسم بالتعالي ولكن منذ عهد الملك بطلميوس الرابع تغير الوضع قليلاً ، وأخذت الدولة في إفساح المجال أمام المصريين لتولي وظائف أعلى ، إلا ان ذلك لم يحقق المساواة بين اليونانيين والمصريين .

ولكن يمكننا أن نلاحظ وجود قدر أكبر من التقارب بين الفريقين ، فقد أقبل المصريون علي تعلم اللغة اليونانية ، واكتسبوا مسحة من الثقافة اليونانية ، وحمل الكثير منهم أسماء يونانية ، كما تأثر اليونانيين بالكثير من مظاهر الحياة المصرية ، فتعلموا اللغة المصرية وعبدوا الآلهة المصرية واتخذوا أسماء مصرية .

وتلي هذه الطبقة طبقة المحاربين ، وهي طبقة فقدت مكانتها في عصر البطالمة الأوائل ، بسبب اعتماد هؤلاء في تكوين جيوشهم علي الجنود الأجانب ، واسناد مهام ثانوية إلي الجنود المصريين ، لذا فقد حرم المقاتلون المصريون من الامتيازات التي اغدقت علي سواهم من الأجانب ولكنهم حينما منحوا فرصة الاشتراك في القتال وأثبتوا جدارتهم في معركة رفح عام 217 قبل الميلاد وتحسنت أحوالهم بعض الشيء

ثم تأتي بعد ذلك فئة الموظفين المصريين ، وفي بداية عصر البطالمة اسندت الوظائف الكبرى إلي اليونانيين وظل المصريون يشغلون الوظائف الدنيا في الجهاز الإداري مثل وظائف الكتابة وهي وظائف كانت تدر عليهم دخلاً يكاد أن يكفي لسد الرمق .

ويأتي في قاعدة الهرم الاجتماعي ملايين المصريين الذين كان يعمل غالبيتهم في مجال الزراعة ، بينما عمل البعض منهم في مجال الصناعة والتجارة ، وكان أفراد هذه الطبقة يعانون أوضاع اقتصادية متردية ، فقد وقعت علي رؤسهم النظم الاقتصادية الجائرة التي طبقتها البطالمة ، حيث كانت تفرض عليهم كل أصناف الضرائب التي كانت تحصل من أجل توفير أكبر قدر من الدخل للملك .

هـ :الحياة الثقافية

أظهر البطالمة انهماكاً كبيراً بالعلم ، مما جعل الاسكندرية تحتل مركز الصدارة وتتفوق علي أثينا ومما لا شك فيه أن انشاء دار العلم والمكتبة ، كان له أبعد الأثر في اجتذاب العلماء والدارسين من شتى أرجاء العالم . ففي مجال العلوم والرياضيات بلغت مدرسة الاسكندرية شأناً كبيراً ، واشتهر من علمائها إقليدس الذي وضع كتاباً في أصول الهندسة ، كما عرف أرشميدس صاحب قانون الطفو ، وفي مجال الدراسات الطبية برع علماء الاسكندرية في التشريح والجراحة ، كما ساعد وجود حديقة الحيوان التي أقامها بطلميوس الثاني إلي تطور علم الحيوان .

الجغرافية والتاريخ

كما اولت مدرسة الاسكندرية اهتماماً كبيراً للدراسات الجغرافية ، بفضل تشجيع البطالمة ، وتوصل ارستارخوس إلي نظرية دوران الأرض حول الشمس ، كما نجح اراتوستينيس في قياس محيط الكرة الأرضية ، ولم يختلف تقديره عما توصلت إليه الدراسات الحالية إلا بخمسين ميلاً فقط ، كما لقيت الدراسات التاريخية الاهتمام نفسه ، وكان ثمرة ذلك الاهتمام الكتاب الذي وضعه الكاهن المصري مانيتون ، عن تاريخ مصر القديم باللغة اليونانية ، وعلي الرغم من ضياع غالبية أجزاء هذا الكتاب ، فإن التقسيم الذي وضعه هذا المؤرخ هو المتبع في عصرنا الراهن .

الأدب

وشهد الأدب ازدهاراً كبيراً ، حتى أن الأدب اليوناني برمته في هذا العصر يطلق عليه الأدب السكندري ، واشتهر من شعراء هذا العصر كالليماخوس وثيوكراتوس ، ويمكن القول بأن علماء مدرسة الاسكندرية هم الذين وضعوا أسس النقد الأدبي ، وعكفوا علي دراسة الأدب اليوناني القديم ، وكانت أعظم انجازاتهم نشر ملاحم هوميروس وتاريخ هيرودوت ، كذلك أعمال كبار شعراء الدراما اليونانية . والجدير بالذكر أن دار العلم التي تقع في الحي الملكي ، هي أشبه بالجامعات في عصرنا الراهن ، وهي مكان يقيم فيه العلماء ويلقون فيه دروسهم علي الطلاب ، وكان هؤلاء العلماء يحصلون علي رواتبهم من الدولة .

مكتبة الإسكندرية

وترتبط بدار العلم مكتبة الاسكندرية الكبرى ، التي يرجع تاريخ انشائها إلي عهد بطلميوس الأول ، وكان أول من ترأس دار العلم والمكتبة ديمتريوس الفاليري ، وهو أحد تلاميذ أرسطو ، ومن أشهر الذين تولوا هذا المنصب فيما بعد ، الشاعر كالليماخوس . وبفضل الرعاية المستمرة للبطالمة أصبحت مكتبة الاسكندرية أعظم مكتبات العالم القديم ، فدأب بطلميوس الثاني علي إرسال البعثات إلي بلاد اليونان من أجل احضار الكتب ، كما أصدر بطلميوس الثالث قرار بفرض علي كل قادم إلي الإسكندرية ، أن يقدم ما لديه من كتب إلي المكتبة ، حيث يقوم الكتبة بنسخها وإعطاء صاحبها نسخة معتمدة مع الاحتفاظ بالنسخة الأصلية ، وقد بلغ عدد المخطوطات التي أحتوتها المكتبة ، ما يقرب من نصف مليون لفافة بردية . وبالإضافة إلي المكتبة الكبرى تم انشاء مكتبة أخرى الحقت بمعبد السيرابيوم .

ولم تقتصر محتويات مكتبة الاسكندرية علي الكتب اليونانية ، بل تضمنت كتباً بلغات اخرى مثل الفينيقية ، وربما ضمت أيضاً كتباً بالهندية
وقد ظلت مكتبة الاسكندرية تقوم بدورها علي الوجه الأكمل ، إلي أن تعرضت للتدمير في عام 48 قبل الميلاد خلال حرب الاسكندرية بين يوليوس قيصر وبطلميوس الثالث عشر ، وبعد حريق المكتبة انتقل النشاط العلمي إلي المكتبة الصغرى في معبد السيرابيوم .

مدينة الإسكندرية

هي ملكة مدن البحر المتوسط ، وتعتبر واحدة من أعظم انجازات البطالمة في مصر ، وظلت لمدة ستة قرون ونصف أعظم مدن شرق البحر المتوسط ، كما استمرت تتناطح مدينة القسطنطينية ، عاصمة الإمبراطورية لمدة ثلاثة قرون أخرى ، كما وصف المؤرخ ديودور الصقلي الإسكندرية بأنها المدينة الأولى في العالم المتحضر ، لأنها تتفوق علي سائر المدن في الفخامة والاتساع والغنى .

ويرجع تاريخ تأسيس المدينة إلي العام الأول للفتح المقدوني لمصر ، فقد قرر الإسكندر عندما دخل مصر وزار مدينة كانوب ، رأى أن يأسس مدينة يخلد بها ذكراه وتحمل اسمه ، فقرر وضع أساس مدينته الجديدة عند قرية راقودة التي تقع بين البحر وبحيرة مريوط ، ويقال أن الإسكندر أراد إقامة مدينة تستطيع أن تنافس مدينة صور الفينيقية التي كانت تحتل المركز الأول في عالم التجارة في شرق البحر المتوسط .

أسند الإسكندر إلي دينوكراتيس مهمة تخطيط المدينة ، وكان يعتبر من أعظم مهندسي عصره ، ثم إقامة جسر يربط ما بين جزيرة فاروس وقرية راقودة ، ونتج عن إقامة هذا الجسر ميناءان ، إحدهما يقع إلي الشرق وهو الميناء الكبير ، والآخر في الغرب وقد أطلق عليه (يونوستوس) بمعنى العود الحميد ، وهو الميناء المستخدم في عصرنا الراهن .

والمواقع أن فكرة تخطيط المدينة ومعالمها قام علي أساس ملئ الفراغ بين بحيرة مريوط والبحر المتوسط

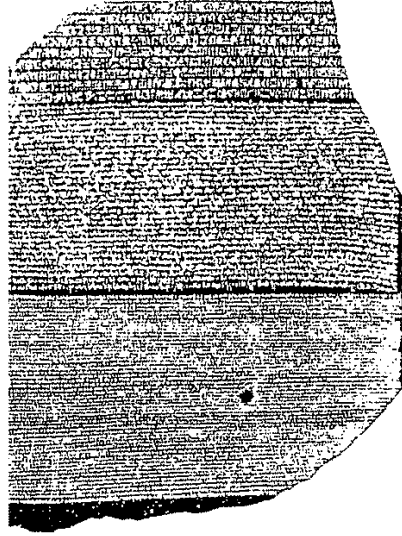
وقد جرى تخطيط شوارع الإسكندرية بشكل مستقيم ، وأهم هذه الشوارع شارعان يتقاطعان عمودياً ، ويزيد عرض كل منهما علي ثلاثين ياردة ، ويوجد علي جانبيهما دهاليز بها أعمدة تضاء ليلاً ، ويجتاز أحد هاذين الشارعين المدينة من الغرب إلي الشرق ، أما الشارع الرئيسي الثاني فكان يبدأ عند بحيرة مريوط وينتهي ناحية الجنوب .

وبعد نقل العاصمة إلي الاسكندرية ، أخذت المدينة تزدهر بشكل مضطرد ، ففي جزيرة فاروس وقف شامخاً فنار الإسكندرية الشهير ، الذي كان يعد من عجائب الدنيا السبع القديمة ، وينسب إنشائه إلي سوستراتوس ، وقد اكتمل بناء الفنار في أوائل عهد بطلميوس الثاني ، وتم تكريسه إلي بطلميوس الأول وزوجته ، ويتألف من ثلاثة طوابق يصل ارتفاعها إلي 120 متر وينبعث ضوء الفنار هادياً السفن في البحر إلي مسافة ثلاثة أميال .

وتجدر الإشارة إلي أن مدينة الإسكندرية قسمت إلي خمسة أحياء ، أول هذه الأحياء هو الحي الملكي ، الذي يقع إلي الشرق من الميناء الكبير ، وتوجد فيه قصور البطالمة ، ويشغل حوالي ربع مساحة المدينة أو الثلث ، ويضم هذا الحي مقابر البطالمة ودار العلم والمكتبة الكبرى .

أما عن سكان الاسكندرية ، فيذكر ديودور الصقلي أن عدد السكان الأحرار بلغ 300 ألف نسمة ، وهذا يعني أن إجمالي عدد السكان قد يصل إلي نصف مليون ، ويتكون النسيج السكاني في المدينة من خليط من البشر ، علي رأسهم الملك ورجال الحاشية ، والجيش وكبار الموظفين والقضاة

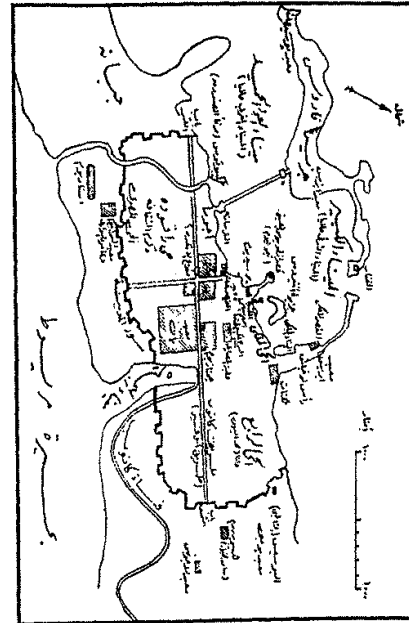
والكهنة ، وكذلك العلماء والفلاسفة وطلاب العلم وتلاميذ المدارس من الفتيان والفتيات ، ورجال الأعمال من أهل البلاد والأجانب والبقالون والحرفيون والباعة الجائلون والرجال الذين مهمتهم إنارة الشوارع وعمال السفن والميناء والبحارة والعبيد ، ويمكن للمرء أن يستمع إلي العديد من اللغات ، ولكن الغلبة كانت للغة اليونانية بلغاتها المختلفة ، ولكن اللغة المصرية كانت هي السائدة في الحي المصري .



حجر رشيد



الإسكندر الأكبر



خريطة الإسكندرية
من كتاب الدكتور مصطفى السباعي ،